مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السادس والعشرون - المجلد الرابع - التاريخ - تشرين أول 2025م
doi.org/10.52866/esj.2025.04.26.23

أثر الحج في تشكيل الحياة السياسية والاقتصادية في الأندلس دراسة في البعد الداخلي والخارجي

أ. د. صهيب محمد ناصر الكبيسي
alkhateb2112 @gmail.com
طه حمزة محمود الزوبعي
Taha.h.mahmood@aliraqia.edu.iq
الجامعة العراقية / كلية التربية

مستخلص:

يتناول هذا البحث أثر فريضة الحج في الحياة السياسية والاقتصادية في الأندلس، من خلال ثلاثة محاور رئيسة، في المحور الأول، تم بيان دور الحج في ترسيخ شرعية الحكام الأندلسيين وتعزيز استقرارهم الداخلي من خلال التواصل مع النخب الدينية والاجتماعية، وتقوية الهوية السياسية والدينية للأندلس، فضلًا عن تأثيره في تطوير التشريعات المحلية، أما المحور الثاني، فقد عالج البعد الخارجي للحج، فقد مثّل وسيلة استراتيجية للتواصل السياسي والعسكري مع الخلافة العباسية (132-656هـ/ 750-1258م) والفاطمية(297-567هـ/ 909-1171م)، وساهم في توسيع نفوذ الأندلس في المحيط الإسلامي، وفي المحور الثالث، تم تسليط الضوء على الأثر الاقتصادي للحج، من خلال تنشيط التجارة، وتحفيز البنية التحتية، وزيادة الإيرادات من الضرائب، فضلًا عن أثره في ازدهار الأسواق والسياحة الدينية، ويخلص البحث إلى أن الحج لم يكن مجرد شعيرة دينية، بل غدا أداة مؤثرة في السياسة والاقتصاد الأندلسي، داخليًا وخارجيًا.

الكلمات المفتاحية: الحج، الأندلس، السياسة، الاقتصاد الأندلسي، العلاقات الخارجية.

The Impact of Hajj on Shaping Political and Economic Life in Al-Andalus A Study of the Internal and External Dimensions

Prof. Dr. Suhaib Muhammad Nasser al-Kubaisi
alkhateb2112 @gmail.com
Taha Hamza Mahmoud al-Zuba'i
Taha.h.mahmood@aliraqia.edu.iq
Al-Iraqi University / College of Education

Abstract

This study examines the impact of the Hajj pilgrimage on the political and economic life of Al-Andalus، through three main axes.

The first axis highlights the internal role of Hajj in consolidating the legitimacy of Andalusian rulers, strengthening their political authority، fostering ties with religious and social elites, and contributing to the development of local legislation.

The second axis addresses the external dimension,showing how Hajj served as a strategic means of political and military communication with the Abbasid and Fatimid caliphates، and how it expanded Al-Andalus's influence within the Islamic world.

The third axis focuses on the economic impact, including the stimulation of trade، development of infrastructure، increase in tax revenues، and the flourishing of markets and religious tourism.

The study concludes that Hajj was not merely a religious ritual، but a powerful tool that shaped both political and economic dynamics in Al-Andalus، internally and externally.

مقدمة

يُعد الحج من أعظم الشعائر التي أولاها الإسلام مكانة كبرى، إذ لم يقتصر أثره على البعد التعبدي فحسب، بل تجاوز ذلك ليُسهم في تشكيل البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مختلف الأقاليم الإسلامية، ومنها الأندلس، فقد ارتبط الحج في الأندلس بجملة من التحولات الداخلية والخارجية التي كان لها دور بارز في تثبيت شرعية الحكام، وتعزيز الروابط مع العالم الإسلامي، وتنشيط الدورة الاقتصادية على مختلف المستويات.

ولما كانت الأندلس بعيدة جغرافيًا عن الحجاز، فقد مثّل الحج بالنسبة للأندلسيين حلقة وصل محورية مع المشرق، وجسرًا استراتيجيًا للتفاعل الديني والسياسي والاقتصادي، فقد حرص الحكام الأندلسيون على توظيف تلك الفريضة لتقوية سلطتهم، وإبراز دور دولتهم ضمن المنظومة الإسلامية، مستثمرين مواسم الحج في إرسال الوفود، وتبادل الرسائل، وتنظيم القوافل التي جمعت بين الحجاج والتجار والعلماء.

وانطلاقًا من تلك الأهمية، يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الحج في الأندلس من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة: البعد السياسي الداخلي، والعلاقات الخارجية، ثم الأثر الاقتصادي، موضحًا كيف تحوّلت تلك الشعيرة إلى أداة محورية في إدارة شؤون الدولة، وبناء العلاقات، وتحفيز الاقتصاد المحلي، وقد اعتمدنا في ذلك أسلوب المنهج العلمي الأكاديمي الوصفي.

المبحث الأول

أثر الحج في السياسية الداخلية للأندلس

تمهيد:

كان الحج في العصور الإسلامية من أهم الأحداث الدينية والاجتماعية والسياسية التي أثرت تأثيرًا بالغًا في الحياة العامة للمسلمين، ومنهم أهل الأندلس، إذ كان يُعدّ موسمًا دينيًا يتلاقى فيه المسلمون من شتى الأقاليم، فيتبادلون الأخبار، ويتعرفون على المستجدات السياسية والثقافية، وهو ما انعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على الأوضاع في الأندلس، وقد كان لذلك اللقاء الموسمي أثر سياسي بالغ، فقد استغله بعض الحكام في تقوية شرعيتهم الدينية، من خلال إرسال الوفود أو أداء الحج بأنفسهم، كما استُخدم الحج وسيلة لتبادل الرسائل بين الأندلس والمشرق، سواء مع الخلافة العباسية أو الفاطمية، أو مع أمراء المناطق الإسلامية الأخرى[1].

وقد وثّقت بعض المصادر التاريخية أن الحجاج الأندلسيين كانوا يلقون اهتمامًا خاصًا عند مرورهم بمناطق نفوذ الخلافة في المشرق، وأنهم كانوا يحملون معهم رسائل أو هدايا تمثل الموقف السياسي للدولة الأندلسية، كما كانوا يعودون بأخبار المشرق التي تؤثر في توجهات الحكم بالأندلس[2].

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (ت: 310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1987م)، ج7، ص123 ؛ ابن عذاري، أبو عبدالله محمد المراكشي (ت: 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان، ولفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، (بيروت: 1983م)، ج1، ص198.

(2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (ت: 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام

وقد كان الحج في العصور الإسلامية من أهم الأحداث الدينية والاجتماعية التي لها آثار كبيرة على العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية، اذ لم يكن الحج مجرد شعيرة دينية يؤديها المسلمون فحسب، بل كان يشكل أيضًا محطّة تواصل وتفاعل بين الحكام في مختلف الأقاليم الإسلامية، وفي الأندلس، فقد كان الحكم الأموي مستمرًا حتى بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكان الحج يشكل نقطة محورية تؤثر في الحياة السياسية الداخلية والعلاقات مع الدول الإسلامية الكبرى مثل العباسيين في بغداد والفاطميين في مصر [1].

وكان للحج دور سياسي مهم في الأندلس، فقد استخدمه الحكام الأندلسيون لتعزيز سلطتهم، والتمتع بتقدير شعبي من خلال قيامهم بتنظيم قوافل الحجاج، كما كان بمثابة وسيلة لتوطيد الروابط مع الخلافة العباسية، والتأكيد على الولاء السياسي، ولتأمين مكانة الأندلس ضمن العالم الإسلامي.

أولاً: الحج كوسيلة لتعزيز سلطة الحكام الأندلسيين

منذ بداية العصر الأموي في الأندلس، كان للحج دور رئيسي في تعزيز قوة الدولة الأمويّة (41-132هـ/ 661-750م) وشرعية حكامها، فالحج، كعبادة دينية وشعيرة مقدسة، كان يتجاوز في تأثيراته الجانب الروحي ليشمل بعدها السياسي، فقد كان الحكام الأندلسيون يتعمدون إظهار تنظيم الحج بشكل رائع، سواء من خلال إرسال الوفود الرسمية أو تنظيم القوافل التجارية التي ترافق الحجاج، وذلك بهدف تأكيد سلطتهم على الأندلس داخليًا وخارجيًا [2].

كان لكل موسم حج فرصة سنوية لتأكيد الولاء الخليفي، وكانت الوفود الأندلسية تصل إلى مكة لتُظهر حجم النفوذ السياسي الذي تتمتع به الأندلس، وتعد تلك الفعاليات، مثل إرسال الحجاج إلى مكة، بمثابة وسيلة رمزية للحاكم الأندلسي لإظهار قوته للخلافة العباسية، ولا سيما في الفترة التي تلت الصراع على السلطة بين الأموية والعباسية، فقد كان الحجاج الأندلسيون يسعون للحصول على الشرعية الدينية، وهو ما يعزز موقفهم السياسي في الداخل الأندلسي [3].

على مستوى العلاقة الداخلية، كان الحجاج العائدون من مكة يعتبرون بمثابة رسل سياسيين يعززون وحدة المجتمع الأندلسي، فقد كانوا يأتون من مختلف مناطق الأندلس حاملين معهم أخبارًا

التدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت:2010م)، ج9، ص221 ؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد،(ت:776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، (القاهرة: د.ت)، ج2، ص344.

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار القلم، (بيروت:1984م)، ص210 ؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت:1041هـ/ 1637م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،(بيروت:1988م)، ج1، ص67 ؛ نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية،(الرياض: 1996م)،ص71.

(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص12 ؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت:346هـ/ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، ط1، (بيروت:1989م)، ج3، ص145.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص42 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص150.

عن الأحداث السياسية في المشرق الإسلامي، مثل قرارات الخلفاء العباسيين، مما كان له تأثير في تفاعل الأندلس مع سياسة العالم الإسلامي الأوسع [1].

ثانياً: تأثير الحج في توثيق العلاقات السياسية الداخلية

لم يكن الحج فقط وسيلة لتوطيد العلاقات الخارجية، بل كان له أثر كبير على الاستقرار السياسي الداخلي في الأندلس، فالحكام الأندلسيون كان لهم مصلحة في استغلال موسم الحج لتوثيق العلاقات الداخلية مع النخب السياسية والدينية، فالحج كان يشكل فرصة للحكام في الأندلس لتعزيز سلطتهم في الداخل عن طريق تقديم الدعم للمجتمع الديني والتفاعل مع العلماء والفقهاء الذين يعودون من الحج، اذ كان ذلك الدعم يعزز شرعية السلطة السياسية ويمنحها طابعًا دينيًا [2].

كما أن الرحلات الدينية إلى مكة كانت تؤثر في العلاقات الداخلية بين الطبقات المختلفة في المجتمع الأندلسي، فالحجاج الذين ينتمون إلى طبقات مختلفة من المجتمع كانوا يعودون ليحملوا معهم رسائل سياسية وثقافية من العالم الإسلامي المشرق، مما يعزز الروابط بين الفئات المختلفة في المجتمع الأندلسي ويساهم في تعزيز وحدة المجتمع [3].

ثالثاً: الحج كأداة لتقوية الهوية السياسية والدينية للأندلس

كان الحج بمثابة أداة لتقوية الهوية السياسية والدينية في الأندلس، فقد كانت السلطة الحاكمة تستفيد من تلك المناسبة لتعزيز الشرعية الدينية والنزعة القومية في الأندلس، وقد كانت عودة الحجاج الأندلسيين من مكة تحمل في طياتها دلالة سياسية قوية، فقد كان الحكام الأندلسيون يقدمون أنفسهم كحماة لشريعة الإسلام وراعيين لمصالح المسلمين، وكانت تلك الزيارة إلى مكة تتيح لهم التأكيد على مكانتهم في العالم الإسلامي، والتعبير عن ارتباطهم بالدولة الإسلامية الكبرى [4].

لقد أظهر الحج في الأندلس دورًا سياسيًا بارزًا، ليس فقط على مستوى العلاقات مع الدول الإسلامية الكبرى مثل العباسيين والفاطميين، بل على المستوى الداخلي أيضًا، فقد كانت له تأثيرات على الاستقرار السياسي وتقوية شرعية الحكام، ومن خلال الحج، تمكن الحكام الأندلسيون من تعزيز سلطتهم داخليًا وخارجيًا، وخلق شبكة من العلاقات السياسية التي ساعدتهم في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية، كما أن الحج كان أداة لتعزيز الهوية الإسلامية في الأندلس، مما يعكس أهمية ذلك في تكوين السياسة الإسلامية في الأندلس [5].

---

(1) ابن الفرضي، أبو وليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت:403هـ/ 1012م)، تاريخ علماء الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، (القاهرة: 1988م)، ص102؛ نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص93.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص198 ؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص134.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص261 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص89.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص222 ؛ الزهري، عبد العزيز، الاستراتيجيات السياسية في الأندلس، مكتبة دار الكلمة، (القاهرة: 2003م) ، ص136.

(5) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى، (ت:578هـ/ 1183م) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (القاهرة:2008م)، ج1، ص98 ؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص134.

رابعاً: الحج كعامل في تطور التشريعات والسياسات المحلية

لا يقتصر تأثير الحج على الأندلس فقط في مجال العلاقات الخارجية والداخلية السياسية، بل كان له تأثير عميق في تطوير التشريعات والسياسات المحلية أيضًا، في الواقع، كان الحج عاملًا مهمًا في تعزيز التشريعات الدينية في الأندلس، فقد كانت الرحلات إلى مكة تمثل فرصة للتأكيد على الالتزام بالشريعة الإسلامية وتحديث بعض القوانين بما يتماشى مع معايير الفقه الإسلامي المعمول بها في المشرق[1].

كانت الوفود الأندلسية التي تسافر إلى مكة غالبًا ما تضم علماء وفقهاء، الذين كانوا يعودون من الحج حاملين معهم تطورات فقهية وتشريعية جديدة يتعين على الحكام الأندلسيين تبنيها، ذلك الاتصال مع المؤسسات الدينية في المشرق كان له تأثير كبير على تعديل بعض القوانين المحلية في الأندلس، على سبيل المثال، كانت الفتاوى التي يتم إصدارها في مكة تتمتع بسلطة فقهية، وكان الحكام الأندلسيون يأخذون تلك الفتاوى بعين الاعتبار عندما كانوا يصدرون تشريعات جديدة، وقد أسهم ذلك في تنظيم الحياة السياسية في الأندلس على أسس دينية سليمة، مما يعزز من استقرار السلطة وشرعيتها، فضلا عن ذلك، فقد كانت الصلات الدينية بين الأندلس ومكة تقوي العلاقة بين القضاة والأمراء، وكان ذلك يساعد في تنفيذ قرارات الحكم بشكل أكثر كفاءة وفعالية[2].

المبحث الثاني : أثر الحج في العلاقات الخارجية الأندلسية

أولاً: الحج كأداة للتواصل السياسي بين الأندلس والعالم الإسلامي

من خلال الحج، نشأت شبكة من العلاقات السياسية بين الأندلس ودول العالم الإسلامي الأخرى، مثل الخلافة العباسية في بغداد، والفاطميين في مصر، وأحيانًا مع حكام المغرب، وكانت مكة هي ملتقى الحجاج من كافة الأقاليم الإسلامية، فقد كان يُمكّن للحكام الأندلسيين من إرسال رسائل سياسية، أو توجيه طلبات دعم سياسي من الخليفة العباسي أو الفاطمي، كما كان يشكل فرصة للاجتماع والتباحث حول قضايا سياسية وثقافية[3].

على سبيل المثال، كان الحكام الأندلسيون يحرصون على إرسال بعثات سياسية إلى مكة خلال موسم الحج للقاء ممثلي الخليفة العباسي أو الفاطميين في محاولة لتحسين العلاقات أو تسوية القضايا الخلافية، وكانت تلك الاجتماعات السياسية التي تتم في مكة بين الحجاج الأندلسيين والخلفاء تعد بمثابة منتدى دبلوماسي، اذ يجري الاتفاق على تحالفات، وتبادل الدعم العسكري أو التجاري[4].

إن الحجاج الأندلسيين كانوا يقومون كذلك بنقل الأخبار عن حالة الأندلس السياسية والاقتصادية إلى قادة المشرق، مما كان له دور كبير في

---

(1) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة المارية (711-756م) ، دار المناهل، ط1، (بيروت:2002م)، ج2، ص215.

(2) الحجي، عبد الرحمن علي، الحياة العلمية في الأندلس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (أبو ظبي: 2007م)، ص242 ؛ أبو خليل، شوقي، حضارة الأندلس، دار الفكر، (بيروت: 1999م)، ص103.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص58 ؛ الزهري، الاستراتيجيات السياسية في الأندلس، ص105.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص30 ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص78.

تحسين مكانة الأندلس السياسية والاقتصادية على المستوى الإقليمي [1].

ثانياً: أثر الحج في تعزيز العلاقات مع الخلافة العباسية والفاطميين

كان الحج يشكل فرصة ذهبية لتعزيز العلاقات بين الأندلس والعالم الإسلامي المشرقي، ففي بداية العصر الأموي، كان الحكام الأندلسيون حريصين على إرسال قوافل حج ضخمة تتضمن شخصيات سياسية وعسكرية، وذلك لإظهار التزامهم بالشريعة وتأكيد قدرتهم على تنظيم الحج، ذلك التنظيم كان يعكس الصورة المرموقة لحكام الأندلس، ويساعدهم على تحسين علاقاتهم بالخلافة العباسية في بغداد [2].

بدايةً من عهد الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/ 809-786م)، أصبحت الوفود الأندلسية أكثر حضورًا في موسم الحج، وكان الخليفة العباسي يولي اهتمامًا خاصًا لتلك الوفود، فكان الخليفة العباسي يرسل رسائل شكر وتقدير، ويقوم بتقديم الدعم المالي والسياسي للحكام الأندلسيين [3]، أما الفاطميون في مصر، فقد كان لهم دور سياسي مؤثر في تلك الفترة، وكان الحج يُعتبر منصة لتوطيد العلاقات بين الأندلس ومصر، وهو ما أثر في توجيه السياسة الأندلسية في كثير من الأحيان [4].

ثالثاً: الحج كأداة لتعزيز العلاقات العسكرية بين الأندلس والدول الإسلامية الأخرى

كان للحج أيضًا دور مهم في العلاقات العسكرية بين الأندلس والدول الإسلامية الأخرى، ففي الوقت الذي كانت فيه الأندلس تمثل جزءًا من العالم الإسلامي، كانت تتعرض في بعض الفترات إلى تهديدات من قبل القوى الإسلامية المجاورة، سواء من المغرب أو من الفاطميين في مصر، في هذا السياق، كانت الرحلات إلى مكة تُستخدم كوسيلة لدعم العلاقات العسكرية بين الأندلس والدول الأخرى، لاسيما عندما كانت الحاجة تدعو إلى تحالفات عسكرية لمواجهة تلك التهديدات [5].

في بعض الأحيان، كان يُرسل الحجاج الأندلسيون إلى مكة ليحملوا رسائل من حكام الأندلس إلى خلفاء العباسيين أو الحكام الفاطميين، أو حتى قادة مناطق أخرى مثل الحكام في المغرب، وكانت تلك الرسائل تحتوي على مقترحات لتحالفات عسكرية، وعادةً ما يتم التفاهم على التعاون في حالة حدوث تهديدات أمنية مشتركة، وكانت مكة بمثابة نقطة لقاء للحكام العسكريين والديبلوماسيين من جميع أنحاء العالم الإسلامي، مما جعلها منصة مهمة للحوار العسكري [6].

(1) المقري، نفح الطيب، ج2، ص183 ؛ الزهري، الاستراتيجيات السياسية في الأندلس، ص142.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص79.
(3) المقري، نفح الطيب، ج2، ص88.
(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص113 ؛ نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص92.
(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص180 ؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت:900هـ/ 1508م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، (بيروت: 1984م)، ص85.
(6) ابن خلدون، العبر، ص212 ؛ المقريزي، تقي الدين أبو عباس احمد بن علي (ت: 845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط)، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، دار الأمين(القاهرة:1997م)، ج2، ص73.

كما كان الحج أحيانًا يشكل وسيلة للاحتشاد العسكري، فقد كانت قوافل الحجاج تضم أعدادًا كبيرة من الجنود الذين يعودون من مختلف أنحاء الأندلس، مما يعزز من قوة الحكومة الأندلسية العسكرية ويجعلها أكثر قدرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، مما جعل الحج بمثابة أداة استراتيجية مزدوجة، تجمع بين العبادة والسياسة العسكرية [1].

رابعاً: الحج كوسيلة لتوسيع نفوذ الأندلس في العالم الإسلامي

يعد الحج بمثابة نقطة انطلاق لتوسيع نفوذ الأندلس في العالم الإسلامي، ففي العصور الإسلامية المختلفة، كان الوفد الأندلسي الذي يصل إلى مكة يحمل معه أخبارًا وأفكارًا سياسية يمكن أن تؤثر في مواقف الخليفة العباسي والحكام الآخرين، فالحج كان يشكل وسيلة دبلوماسية لنقل الرسائل السياسية المتعلقة بمصالح الأندلس، فضلا عن ذلك، كان الوفد الأندلسي يستخدم الحج للبحث عن دعم معنوي من المجتمع الإسلامي الأوسع، اذ كانت مكة المكرمة نقطة تلاقي للعديد من الحجاج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بما في ذلك المغاربة والمشارقة، ووجود الأندلسيين في ذلك الاجتماع السنوي يعزز من مكانة الأندلس السياسية في العالم الإسلامي كدولة تؤدي دورًا كبيرًا في الأحداث الكبرى، وكانت تلك الزيارات تُظهر أن الأندلس ليست فقط جزءًا من العالم الإسلامي ولكنها أيضًا قوة محورية في حركة الأحداث التاريخية والسياسية التي تتشكل في العالم الإسلامي [2].

يتضح أن لفريضة الحج تأثيرًا بالغًا في الحياة السياسية بالأندلس من عدة أوجه؛ إذ ساهمت في توثيق العلاقات الخارجية مع القوى الإسلامية الكبرى، كالخلافة العباسية والفاطميين، فضلاً عن دعم السلطة الداخلية من خلال تعزيز الشرعية الدينية والتشريعية للحكام، كما أدى الحج دورًا مهمًا في ترسيخ الوحدة بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي، وقد اتخذ الحكام الأندلسيون من الحج منصة استراتيجية لتثبيت مكانتهم في العالم الإسلامي، سواء عبر الوسائل السياسية أو العسكرية أو الدينية، ومن ثمّ، فإن الحج في الأندلس لم يكن مجرد شعيرة دينية، بل غدا أداة محورية في توسيع النفوذ السياسي للأندلس داخليًا وخارجيًا [3].

المبحث الثالث
أثر الحج في الاقتصاد الأندلسي

كان للحج دور بارز في الاقتصاد الأندلسي منذ بداية فتح الأندلس، إذ شكلت قوافل الحجيج والأموال التي كانت تُصرف من قبل الحجاج على الطريق التجاري ومكة وأثناء أدائهم للطقوس الدينية محركًا أساسيًا للنشاط التجاري والاقتصادي، فضلا عن ذلك، كانت حركة الحج إلى مكة تعني زيادة حجم التجارة بين الأندلس وبقية مناطق العالم الإسلامي، وزيادة الإيرادات المالية من الضرائب التجارية والإعانات التي كانت تدفع من قبل الأفراد

(1) ابن الأبار، أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي، (ت:659هـ/ 1260م) ، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، (القاهرة: 1955م)، ص117.

(2) ابن جبير، أبي الحسين محمد بن احمد الكناني الأندلسي(ت:614هـ/ 1217م) ، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، (بيروت: د. ت)، ص112 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص417.

(3) مؤنس، فجر الأندلس، ص156.

والحكومات الأندلسية للمساهمة في راحة الحجاج، ومن خلال تلك الحركة الدائمة، نشأت علاقة قوية بين الاقتصاد الأندلسي وموسم الحج، الذي كان أحد العوامل المؤثرة في رفعة ذلك الاقتصاد[1].

أولاً: التجارة والنقل وتأثير الحج على النشاط الاقتصادي في الأندلس

تُعد التجارة واحدة من أكثر القطاعات التي تأثرت بشكل مباشر بموسم الحج في الأندلس، فقد كانت قوافل الحجاج جزءًا من الحركة التجارية المنتظمة التي تربط الأندلس بمكة وغيرها من الأراضي المقدسة، وكانت تلك القوافل تستغل طريقين رئيسيين: الأول عبر البحر من خلال موانئ البحر المتوسط مثل قرطبة[2] وبلنسية[3]، بينما كان الثاني بريًا عبر شمال إفريقيا من خلال المغرب وصولًا إلى مكة، وكل طريق كان يحمل معه البضائع التجارية التي كانت تُشترى وتُباع في أسواق مكة والمدينة المنورة والمدن التجارية الأخرى مثل الطائف[4].

كان التجار الأندلسيون يسافرون إلى مكة محمّلين بالسلع التي كانت تحظى بشعبية في أسواق المدينة المقدسة مثل الأقمشة والحرير والزيتون، فضلا عن المنتجات الحرفية والفخار، في مقابل ذلك، كان الحجاج يعودون إلى الأندلس محمّلين بالسلع التي كانت تُنتج في مكة والأراضي المجاورة لها مثل التمور والعطور والأدوات الدينية، كما كانت بعض البضائع الأخرى التي كانت تُصنع محليًا في مكة مثل الثياب تستهوي الحجاج من الأندلس[5].

تسببت تلك الحركة المستمرة للبضائع في تعزيز التجارة الدولية بين الأندلس والمناطق الإسلامية الأخرى، فقد ازدهرت الأسواق الأندلسية بشكل غير مسبوق في تلك الفترة، ووجد التجار الأندلسيون فرصًا كبيرة في التوسع في مجالات جديدة من التجارة بفضل البحث عن سلع جديدة كانت تفي بمتطلبات الحجاج والمجتمعات المحلية[6].

(1) غرول، جيرارد دي، تاريخ التجارة في الأندلس، دار النشر العربي، (بيروت: 2003م)، ص148؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، (القاهرة:1997م)، ج3،ص202.

(2) قرطبة: مدينة أندلسية تقع جنوب إسبانيا على نهر الوادي الكبير، فتحها المسلمون سنة 92هـ/ 711م، وجعلها الأمويون عاصمة لحكمهم، فبلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري، وبرزت كمركز علمي وثقافي في العالم الإسلامي. ينظر: الحميري، محمد بن عبد الله (ت: بعد 900هـ/ 1494م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص445.

(3) بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير شرقا، وهي برية بحرية في غاية الخصب واعتدال الهواء، كان أهل الأندلس يدعونها فيما سلف من الزمان مُطَيَّب الأندلس، وذلك لكثرة أشجارها وطيب ريحها؛ وبين بلنسية هذه وبين البحر الرومي قريب من أربعة أميال. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص490؛ القزويني، زكريا محمد بن محمود، (ت:682هـ/ 1283م)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت: د.ت)، ص513.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص220 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص114.

(5) ابن خلدون، العبر، ص225 ؛ عباس، إحسان، تاريخ الفكر الأندلسي، دار الشروق، (بيروت: 1988م)، ص156.

(6) أبو خليل، شوقي، حضارة الأندلس، دار الفكر، (بيروت: 1999م)،ص99.

ثانياً: دور الحج في تنظيم أسواق الأندلس وتوسع النشاط التجاري

فضلا عن التبادلات التجارية في الأسواق المكية، كان موسم الحج يشهد أيضًا تزايدًا في حجم الأنشطة التجارية في أسواق الأندلس، فقد كانت تلك الأسواق تستقطب العديد من التجار الذين كانوا يأتون من المغرب، الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، ما ساعد على تطوير الاقتصاد الأندلسي وتحقيق الاستفادة من البضائع المستوردة[1].

كانت مدن الأندلس الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية[2] وطليطلة تتأثر بشكل كبير بالحج وتوسع في النشاطات التجارية المرتبطة به، فقد عمل التجار الأندلسيون على استثمار تلك الفرصة لتوسيع مشاريعهم التجارية في العالم الإسلامي، وكان التجار الأندلسيون يتاجرون ليس فقط بالبضائع التقليدية مثل الأقمشة والحرير، بل كانوا يتعاملون أيضًا مع سلع أكثر تطورًا مثل المصنوعات اليدوية والأسلحة والفخار الأندلسي الذي كان يشهد إقبالًا كبيرًا في مكة وغيرها من الأماكن المقدسة[3].

كانت تلك الأنشطة التجارية تُسهم بشكل مباشر في تقوية الاقتصاد المحلي للأندلس من خلال توفير السلع التي كانت بحاجة إليها الأسواق، فضلاً عن التأثير الكبير على ميزانية الدولة بسبب زيادة الضرائب التجارية على السلع[4].

ثالثاً: استثمار الحج في تطوير البنية التحتية

من الجوانب الهامة التي انعكست على الاقتصاد الأندلسي جراء الحج هي تحسين البنية التحتية في الأندلس نفسها، فمن خلال تدفق الموارد المالية المرتبطة بالحج، كان الحكام الأندلسيون يعمدون إلى استثمار تلك الأموال في تطوير شبكات الطرق البرية والبحرية، فالتجارة التي كانت تتم خلال موسم الحج كانت تتطلب تحسين الموانئ البحرية وتهيئة الطرق البرية لتسهيل انتقال الحجاج والتجار[5].

كانت الموانئ الأندلسية مثل موانئ قرطبة وبلنسية تشهد تطورًا ملحوظًا في تلك الفترة بفضل تلك التجارة الموسمية، فقد كانت السفن التجارية تأخذ طريقها من الموانئ الأندلسية نحو مكة مرورًا بشواطئ شمال إفريقيا، مما أدى إلى تحسين الحركة البحرية بما فيها تطوير البنية التحتية للموانئ التي كان لها دور مهم في تحسين التجارة البحرية[6].

كما أسهمت السلطات المحلية في تخصيص موارد مالية كبيرة لتحسين شبكات الطرق البرية بين الأندلس ومكة والطرق الأخرى التي كانت تتبعها قوافل الحجاج، وقد ساعد ذلك في جعل الطرق أكثر أمانًا وسهولة في المرور، مما أسهم في تحقيق مزيد من النمو للنشاط التجاري في الأندلس[7].

(1) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص205.
(2) أشبيلية: تبعد عن قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومعناها المدينة المنبسطة بناها يوليوس قيصر يطل عليها جبل الشرق وتشتهر بالزيتون والقطن وقصب السكر؛ ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص60-58.
(3) ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد القرطبي الظاهري، (ت: 456هـ/ 1064م)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بناية برج الكارلتون، (بيروت: 1981م) ، ج3، ص134 ؛ أبو خليل، حضارة الأندلس، ص107 ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ج1، ص231.
(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص144.
(5) ابن حيان، احمد بن محمد، (469هـ/ 1076م)، المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت:1983م)، ص89 ؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص152.
(6) ابن خلدون، العبر، ص229.
(7) الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، دار الطليعة،

رابعاً: حركة الأموال وزيادة الإيرادات من الضرائب

كان للحج أيضًا دور بارز في زيادة حركة الأموال في الأندلس، ففي البداية، كان الحج يشكل مصدرًا مهمًا للمال عبر الضرائب المفروضة على التجار والحجاج، فكل حاج كان يُطلب منه دفع ضريبة الحج عند عبوره الأراضي الأندلسية أو أثناء سفره إلى مكة، وهي إحدى صور التمويل التي كانت تستخدم لدعم مؤسسات الدولة، وكان ذلك المصدر من الإيرادات يشكل جزءًا أساسيًا من موارد الحكومة الأندلسية التي كانت تستخدم في تمويل مشاريعها المختلفة مثل بناء المدارس والجامعات والمستشفيات [1].

كما كانت السلطات الأندلسية تفرض ضرائب تجارية على السلع التي كانت تُباع في الأسواق المحلية، ما يساهم في زيادة الإيرادات المالية، ومع تزايد الطلب على السلع التي كانت جلبت من مكة، أصبح موسم الحج مصدرًا رئيسيًا للمال، فقد كانت إيرادات الضرائب تساهم في تحسين بنية الدولة المالية وتوجيه الأموال إلى العديد من المشاريع الخدمية [2].

خامساً: تأثير الحج على السياحة الدينية في الأندلس

فضلا عن التجارة والنقل، كان للحج تأثير كبير على السياحة الدينية في الأندلس، فقد استقطبت المدن الأندلسية الكبرى كقرطبة وإشبيلية[3] العديد من الحجاج المسلمين القادمين من مكة والمدينة وغيرهما، فقد كانوا يأتون لزيارة المساجد الكبرى والجامعات، وكان ذلك النوع من السياحة مصدرًا رئيسيًا للإيرادات المالية للدولة الإسلامية في الأندلس، فقد كانت الخدمات السياحية مثل الإقامة والمطاعم والأسواق تلعب دورًا محوريًا في تعزيز النشاط التجاري [4].

كانت حركة الحجاج أيضًا سببًا في تبادل الخبرات الثقافية والتجارة بين الأندلس والمناطق الأخرى من العالم الإسلامي، ما أدى إلى زيادة النشاط الاقتصادي في البلاد بشكل عام، وكانت تلك الأنشطة تؤثر بشكل إيجابي على نمو الاقتصاد المحلي وتعزيز التجارة بين الأندلس والشرق الأوسط والمناطق الإسلامية الأخرى [5].

يتبين أن الحج شكّل وسيلة فاعلة للتواصل السياسي بين الأندلس وسائر أقاليم العالم الإسلامي، فقد أسهم في مدّ جسور الاتصال بين حكام الأندلس وخلفاء المشرق، وأتاح للمسلمين في الأندلس فرصة الاطلاع على أوضاع العالم الإسلامي وتكوين علاقات مباشرة مع مراكزه الكبرى، كما ساعد على تبادل الرسائل والهدايا وتوحيد المواقف في بعض القضايا، وكان له دور في تعزيز الشرعية السياسية لبعض الحكام عبر الارتباط الروحي والرمزي بالخلافة.

كما يتضح أن للحج أثرًا اقتصاديًا ملموسًا في الأندلس، إذ أسهم في تنشيط حركة التجارة بين الأندلس وسائر بلاد المسلمين، من خلال القوافل التي

(بيروت: 1982م)، ص190.

(1) المقري، نفح الطيب، ج2، ص198 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص173.

(2) أبو خليل، حضارة الأندلس، ص133.

(3)

(4) الأشقر، يوسف، تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار النفائس، (بيروت: 2004م)، ص212 ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ج1، ص241.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص244 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص199.

كانت تحمل الحجاج والبضائع معًا، كما أدى إلى تداول العملة وتبادل السلع والمعارف الاقتصادية، وفتح آفاقًا جديدة للتجار الأندلسيين، مما انعكس إيجابًا على ازدهار الأسواق المحلية ونمو النشاط التجاري.

الخاتمة

يمكن تلخيص أبرز ما توصل إليه البحث في النقاط الآتية:

1. كان للحج أثر بارز في ترسيخ الشرعية السياسية للحكام الأندلسيين، وتعزيز سلطتهم داخليًا من خلال الارتباط بالشعائر الدينية والتقرب إلى النخب الدينية.
2. أسهم الحج في توثيق العلاقات الداخلية داخل المجتمع الأندلسي، وتقوية الهوية الإسلامية، فضلًا عن دوره في دعم التشريعات الدينية والسياسات المحلية.
3. مثّل الحج وسيلة استراتيجية للتواصل الخارجي بين الأندلس والخلافة العباسية والفاطمية، عبر إرسال الوفود وتبادل الرسائل السياسية والتحالفات.
4. لعب الحج دورًا مهمًا في تنشيط العلاقات العسكرية وتبادل الدعم الأمني مع القوى الإسلامية المجاورة، من خلال اللقاءات الموسمية في مكة.
5. انعكس الحج اقتصاديًا على الأندلس عبر تنشيط التجارة، وتحفيز حركة النقل، وتوسيع الأسواق، وزيادة الإيرادات من الضرائب، فضلًا عن دوره في تطوير البنية التحتية.
6. شكّل الحج عنصرًا محوريًا في ربط الأندلس بالعالم الإسلامي، وأسهم في بناء مكانة دبلوماسية واقتصادية لها، رغم بعدها الجغرافي عن مراكز الخلافة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر الاولية:

- ابن الأبار، أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي، (ت:659هـ/ 1260م).

1 – التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، (القاهرة: 1955م).

- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم، (ت: 630هـ/ 1232م).

2 – الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت:2010م).

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى، (ت: 578 هـ/ 1183م).

3 – الصلة في تاريخ أئمة الاندلس، تحقيق :شريف أبو العلا العدوى، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (القاهرة: 2008م).

- ابن جبير، أبي الحسين محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت:614 هـ/ 1217م).

4 – رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، (بيروت: د. ت).

- ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد القرطبي الظاهري، (ت: 456هـ/ 1064م).

5 – رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق: احسان عباس، ط1، بناية برج الكارلتون، (بيروت: 1981م).

- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت:900هـ/ 1508م).

6 – الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، (بيروت: 1984م).

- ابن حيان، احمد بن محمد، (469هـ/ 1076م).

7 – المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق: احسان عباس، دار الثاقفة، (بيروت:1983م).

- ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبدالله محمد بن

سعيد،(ت: 776هـ/ 1374م).
8 – الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، (القاهرة: د.ت).
• ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/ 1406م).
9 – العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار القلم، (بيروت: 1984م).
• الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (ت: 310هـ/ 922م).
10 – تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1987م).
• ابن عذاري، ابو عبدالله محمد المراكشي (ت: 712هـ/ 1312م).
11 – البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: كولان، ولفي بروفنسال،ط3، دار الثقافة،(بيروت: 1983م).
• ابن الفرضي، أبو وليد عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي، (ت:403هـ/ 1012م).
12 – تاريخ علماء الاندلس، ط2، مكتبة الخانجي، (القاهرة: 1988م).
• القزويني، زكريا محمد بن محمود، (ت:682ه/ 1283م):
13 – اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت: د.ت)
• المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: 346هـ/ 957م).
14 – مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، ط1، (بيروت:1989م).
• المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/ 1637م).
15 – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت:1988م).
• المقريزي، تقي الدين ابو عباس احمد بن علي (ت: 845هـ/ 1441م).
16 – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط)، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، دار الامين (القاهرة:1997م).

ثانياً: المراجع الحديثة:

• الاشقر ، يوسف.
17 – تاريخ الحضارة الاسلامية في الاندلس، دار النفائس، (بيروت: 2004م).
• الحجي، عبد الرحمن علي.
18 – الحياة العلمية في الاندلس، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث(ابو ظبي: 2007م).
• ابو خليل، شوقي:
19 – حضارة الاندلس، دار الفكر، (بيروت: 1999م).
• الدوري ، عبد العزيز.
20 – النظم الاسلامية، دار الطليعة، (بيروت: 1982م).
• الزهري، عبد العزيز.
21 – الاستراتيجيات السياسية في الأندلس، مكتبة دار الكلمة، (القاهرة: 2003م).
• عباس، احسان.
22 – تاريخ الفكر الاندلسي، دار الشروق ، (بيروت: 1988م).
• عنان، محمد عبد الله.
23 – دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، (القاهرة:1997م).
• غرولا جيرارد دي.
24 – تاريخ التجارة في الاندلس ، دار النشر العربي، (بيروت: 2003م).
• مؤنس ، حسين.
25 – فجر الاندلس، دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الامرية (711– 756م)، دار المناهل، ط1، (بيروت:2002م).
• نواب ، عواطف محمد يوسف.
26 – الرحلات المغربية والاندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض: 1996م).